مكتبة الهمّة

الدولة الإسلامية

الوَصِيَّةُ الثَّلاثِينِيَّة

لِأُمَرَاءِ وجُنُودِ الدَّوْلَةِ الإسلامِيَّة

للشيخ المجاهد

عبد المنعم بن عزِّ الدِّين البدوي

أبي حمزة المهاجر (رحمه اللّه)

الوصية الثلاثينية

لأمراء وجنود الدولة الإسلامية

للشيخ المجاهد

عبد المنعم بن عزِّ الدِّين البدوي

أبي حمزة المهاجر (رحمه الله)

مكتبة الهمة

مكتبة الهمّة

الدَّولَةُ الإسْلامِيَّةُ

خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّة

الطبعة الثانية

جمادى الأُولى ١٤٣٧هـ

مُقَدِّمَةُ الْـهِمَّة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنَّه ليستْ كلُّ كلمةٍ تبلُغُ قلوبَ الآخرينَ فتحرِّكُها وتدفَعُها؛ إذا لم تَقْطُرْ تلك الكلمةُ دماً، فكلُّ كلمةٍ عاشتْ قد اقتاتَتْ قلبَ إنسانٍ حي، أما الكلماتُ التي وُلدتْ في الأفواهِ وقذفتْ بها الألسنةُ ولم يُضحَّى مِنْ أجلها؛ فقد وُلدتْ ميتة[١].

وقد اخترنا لكَ -أخي المجاهد- كلماتٍ من نور، خرجتْ من قلبِ أَحَدِ قادةِ الدَّولة الإسلاميَّة، الوزير الشهيد -بإذن الله- أبي حمزةَ

(١) من كلام سيِّد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (دراسات إسلامية).

المهاجر، الذي سالتْ دماؤُه على أرض الرَّافدين وانتفضتْ كلماتُه وعاشتْ حيَّة في قلوبِ مُحِبِّيه.

فبعد خمسةِ أعوامٍ من مقتل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ يسّر اللهُ تعالى لوصيَّتِهِ الثلاثينية لأمراءِ وجُنُدِ الدَّولةِ الإسلاميَّة أنْ تُطبعَ في مطابع مكتبة الهمَّة، ليستفيدَ منها ويتربَّى عليها أبناءُ الشيخ وإخوانُه الّذينَ أقاموا صرحَ الخلافةِ الإسلاميَّة، فنسأله سبحانه أنْ يجعلَ ما كتبهُ المهاجرُ في ميزان حسناته، وأنْ يُنفِّعَ به المجاهدينَ أمراءَ وجنوداً.

مكتبة الهمّة
الدولة الإسلامية
ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله ومن والاه، أما بعد:

فيا أخي المجاهد:

هذه بعض النصائح، جمعتُها لكَ من أفواهِ الرجالِ وبطونِ الكتبِ، ولستُ أَدَّعي حِكْمَةً، وأسأل الله أنْ ينفِّعَني وإياكم بها، والله من وراء القصد.

أبو حمزة المهاجر

الأول من رمضان ١٤٢٨ للهجرة

وصية الأُمراء

الوصية ـ ١ ـ

الإخلاصُ لله؛ ففيه النجاةُ في الدنيا والآخرة؛ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»(٢).

واقْصِدْ بعملك أنْ تكونَ كلمةُ الله هي العليا؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(٢) متفق عليه.

ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٣).

الوصية ـ ٢ ـ

العدلُ والنُّصحُ لرعيَّتك؛ فـ«مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ»(٤)، و«مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»(٥)، و«لا يَسْتَرْعِي اللَّهُ عَبْداً رَعِيَّةً

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه أحمد وغيرُه مرفوعاً، وقال المنذري: "إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح".

(٥) أخرجه مسلم.

يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٦).

الوصية ـ ٣ ـ

المشورةُ والمناظرةُ؛ فالمناظرة صِنْوُ المشاورة، أي: الجلوسُ لطرح الأفكار في مجلس، وتعليقُ كلِّ شخصٍ على رأي الآخَر، أو استحداثُ رأيٍ جديد، ثم يتبلورُ في النهاية الرأي الصواب، قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩]؛ فقد وجَّه اللهُ نبيَّه ليشاورَ مَن هو دونَهُ مع رجاحةِ عقلِ النبي ﷺ، فكيف بكم؟

وكما قيل: «ما ندم من استشار، وما خاب من استخار»، وقيل: «من استغنى بعقله ضلَّ، ومن

(٦) متفق عليه.

اكتفى برأيه زَلّ، ومَن استشارَ ذوي الألبابِ سَلَكَ سبيلَ الصواب، ومن استعان بذي العقول فاز بِدَركِ المأمول».

فلْيكن لكلِّ أميرٍ مجلسُ شورى حقيقي، بَدءاً من الأمير العامِّ وانتهاءً بأمراء السرايا.

ولكن لا تشاور صاحبَ حاجةٍ يريد قضاءَها، ولا مَن تتلمَّس أنَّه يَطْمَع فيها، ولا مَن لا يُقَلِّبُ الفكرَ في الرأي؛ فقد قيل: «دع الرأي حتى يَخْتَمِر»، وقد ورد عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "رأيُ الشيخ خيرٌ من مَشْهَد الغلام"(٧)؛ أي في القتال.

ولا تَسْتَشِرْ إلا خالياً: أي على انفرادٍ؛ فإنَّه أحفظُ للسر، وأضبطُ لمَن قد يُفْشِيْه.

---

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

حقاً! «إنَّ المشورة والمناظرة بَابَا رحمة ومفتاحَا بركة لا يَضِلُّ معهما رأي»(٨).

الوصية ـ ٤ ـ

إياك وأنْ تُقَدِّمَ مَنْ يُوافِقُكَ الرأيَ فحسب، واحذَرْ من بِطانة السوء، وعَوِّدْ نفسَك الصبرَ على مَن خالفَك الرأيَ مِن ذوي النصح، وتَجَرَّعْ مرارةَ قولِهم وعَذْلِهم، ولا تَنْبَسِطْ في ذلك إلَّا لأهلِ الفضل والعقل والسنِّ والمروءة والستر.

الوصية ـ ٥ ـ

ليس أَضْيَعَ للدين والدنيا مِنْ أنْ تَضِيعَ من الأمير أخبارُ رعيَّته على حقيقتِها، فلا تَحْتَجِبْ عنهم؛ فإنَّما أنت بشر لا تعلم ما يُوارِيْه الناس

(٨) ورد عن عمر بن عبد العزيز في "أدب الدنيا والدين" للماوردي، وغيره.

عنك، وإياكَ والتذرُّعَ بالأمنِ؛ فتأْمَنَ وتُضِيْعَ مَنْ تَحْتَك؛ فبِئْسَ الأميرُ أنت إذنْ.

وَقِفْ على كل شيء بنفسك بعد توليةِ الأمناء النصحاء؛ فقد يخون الأمين ويَغُشُّ الناصح فتثبتوا من الأمور؛ قال تعالى: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦]، «فلم يقتصر تعالى على التعريضِ دونَ المباشَرة، ولا عَذَرَ في التشاغل اكتفاءً بالاستنابة حتى قَرَنَهُ بالضلالة»(٩).

ولا تَعْجَلَنَّ إلى تصديقِ ساعٍ يريدُ الإفساد، فإنَّ مِثْلَه غاشٌّ وإنْ تَشَبَّه بالناصحين، ولا تُهْمِلْ قولَه؛

(٩) الماوردي نقلاً عن: بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق.

فقد يكون صادقاً، وأحسن الظَّنّ بإخوانك؛ فإنَّ إحسانَ الظنِّ يَقْطَعُ عنك نَصَباً طويلاً.

الوصية -٦-

ينبغي للأمير أنْ يأخذَ نفسَه وجندَه بما أوجبه اللهُ تعالى من حقوقٍ، وأمرَ به من حدود؛ «فإنَّ مَن جاهد عن الدين كان أحقَّ الناس بالتزام أحكامِه»[١٠]، ولكنك لن تُصْلِحَ وأنت فاسد، ولن تُرشِد وأنت غاوٍ، ولن تهديَ وأنت ضال، فكيف يَقْدِرُ الأعمى على الهدى، والذليلُ على العِزِّ؟ ولا أَذَلَّ مِنْ ذُلِّ المعصيةِ، ولا أَعَزَّ مِن عِزِّ الطاعةِ، فتَرَفَّعْ عن سَفاسِفِ الأخلاقِ وصُحبةِ الفسَّاق.

---

(١٠) من كلام العلامة الماوردي في الأحكام السلطانية.

الوصية -٧-

إياكَ وأنْ يَدْعُوَكَ ضيقُ أمركَ في شيء إلى طلبه بغير الحق؛ فإنَّ صبرَك على ضيقٍ ترجو انفراجَه وفضلَ عاقبتِه خيرٌ من معصيةٍ تخاف تَبِعَتَها، ومدارُ الدِّين على الصبر.

الوصية -٨-

إياك وأنْ تُمَيِّزَ نفسَكَ بمركَبٍ أو مَلْبَس؛ فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "... وقد بَلَغَنِي أنَّه فَشَا لك ولأهلِ بيتِك هيئةٌ في لباسِك ومطعَمِك ومركَبِك، ليس للمسلمين مثلُها، فإيَّاك يا عبد الله أنْ تكونَ بمنزلة البهيمة مَرَّتْ بوادٍ خصْب، فلم يكن لها هَمٌّ إلا التسمُّن، وإنما حَتْفُها في السِّمَن، واعلم أنَّ العامل إذا زاغ

زاغت رعيتُه، وأشقى الناس من شَقِيَتْ به رعيتُه"(١١).

الوصية -٩-

اعلموا أنَّ الحرب -كما قالوا-: ثِقالُها الصبر، وقُطْبُها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثِقافُها(١٢) الأَناة، وزِمامُها الحذر، ولكلِّ شيءٍ مِن هذه ثمرة؛ فثمرةُ الصبرِ التأييد، وثمرةُ المكر الظَّفَر، وثمرةُ الاجتهاد التوفيق، وثمرة الأناة اليُمْن، وثمرةُ الحذر السلامة.

---

(١١) عزاه في كنز العمال للدينوري، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه.

(١٢) ما تُسَوَّى به الرماح أو الأقواس؛ حديدة أو خشبة، تاج العروس للزبيدي.

وقد سُئل عمرو بن مَعْدِيْكَرِبَ[١٣] عن الحرب فقال: "من صبر فيها عُرِف، ومن نَكَلَ عنها تَلِفَ"[١٤]، فإيّاكم والعجلةَ، فَرُبَّ عَجَلةٍ تُعْقِبُ نَدَماً.

الوصية -١٠-

قَدِّمْ أهلَ البلاءِ والشِّدةِ على الأعداءِ حالَ اصطلام القتالِ، ووزِّعْهم على السرايا ليتقوَّى بهم الضعيفُ، ويتجرأَ بشجاعتهم الجبانُ، وإيَّاك وأنْ يَصْحَبَ إخوانَكَ مُخَذِّلٌ أو مُرْجِفٌ.

والحذرَ الحذرَ من العيونِ والجواسيسِ، فكم مِن فئة قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، ولكن لا تَنْتَقِ

(١٣) أحد أبطال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٤) أسنده عنه البَلاذُري في فتوح البلدان.

في الغزو الأقوياءَ وتَتْرُكَ الضعفاءَ الراغبين بما عند الله؛ فإنَّ النبي ﷺ قال: «وهل تُنْصَرون وتُرْزَقون إلا بضعفائكم»(١٥)، وإنَّ الله يَنصر القومَ بأضعفِهم.

الوصية -١١-

لا تُهْمِلْ مِن العُدَّة ما يمكن أنْ يُتَّخَذَ كالدروع والخُوَذ، وليس ذلك مِن الجبن، فقد كان أشجعُ الناس رسولُ الله ﷺ له درعٌ، ولا يمنع هذا مِن المقاتلة حاسراً في وقتِه المناسب، قال حبيب بن المهلب(١٦): "ما رأيتُ رجلاً في الحرب مُسْتَلْئِماً إلَّا

(١٥) أخرجه البخاري.

(١٦) حبيب بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني، كما في الأعلام للزِّرْكلي.

كان عندي رجلين، ولا رأيتُ حاسرَيْن إلا كانا عندي واحداً".

فسمع هذا الحديثَ بعضُ أهلِ المعرفة فقال: "صدق! إنَّ للسلاح فضيلة؛ أما تراهم ينادون عند الصريخ: السلاحَ السلاحَ، ولا ينادون: الرجالَ الرجالَ"(١٧).

الوصية -١٢-

إنَّه لَأَميرٌ حكيمٌ من يُزَوِّدُ إخوانَه من المُؤَنِ ما تَقْوَى به نفوسُهم طُوالَ يومِهم من طعامٍ وشراب؛ فقد كان بعضُ قادةِ الحرب في أفغانستانَ إذا فَتَّشْنا جيوبَهم وَجَدْنا فيها الزبيبَ.

(١٧) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.

الوصية -١٣-

ينبغي على الأمير أنْ يُحَدِّد لكلِّ مفرزةٍ أميرَها، وأنْ يتفقد سياراتِ وأسلحةَ إخوانِه ومُؤَنَها، وخاصةً قبل الغزوات، فلا يُدْخِلُ فيها ما تَعْجِزُ عنه حالَ الجِدِّ والشدة، ولا يُخْلِ منها ما تحتاجُه حالَ العطبِ وطولِ المسافة، وخاصةً إذا تَوقَّع طولَ المعركة.

الوصية -١٤-

ينبغي ألّا يزيدَ عددُ المقاتلينَ في السيَّارة الواحدة عن الثلاثة، إلَّا ما تَرَجَّحَتْ مصلحتُه، وأنْ يُؤَمِّنَ اتصالاً أمنياً مدروساً بين السرايا، ويضعَ لهم شفرةً لكلامِهم، وشعاراً لقتالِهم.

الوصية -١٥-

على الأمير أنْ يُسْمِعَ رعيَّتَه وجندَه ما يقوِّي نفوسَهم، ويُشْعِرُهم بالظَّفَر على عدوهم، ويَسْرُدَ عليهم من أسباب النصر ما يحتقرون به عدوَّهم، قال الله تعالى: {إِذْ يُرِيْكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} [الأنفال: ٤٣].

الوصية -١٦-

ينبغي للأمير أنْ يدرسَ موقعَ القتال جيداً، فلا يقاتلُ مِن موقع يَسْهُل الالتفافُ عليه دون أنْ يَسُدَّ الثغرة، ولا يَبْعُدُ بجنودهِ بُعداً يستحيل عليه أنْ يعود بهم آمناً.

الوصية -١٧-

قال ﷺ: «الْحَرْبُ خَدْعَةٌ»(١٨).

وقال المُهَلَّب(١٩): "عليكم بالمكيدة في الحرب؛ فإنَّها أَبْلَغُ مِنَ النَّجْدَة".

ومِن المكيدة:

أ- إفشاء العيون.

ب- واستطلاع الأخبار.

ج- والتورية في الغزوات؛ فقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها.

---

(١٨) متفق عليه.

(١٩) المُهَلَّب ابن أبي صُفْرَة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال: "... أقام واليًا على خراسان من قِبَل الحجاج تسع سنين، وقال ابن صبية: "كان أشجع الناس"، راجع: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسِه
فَصَدْرُ الذي يُسْتَوْدَعُ السرَّ أَضْيَقُ

واحذرْ عدوَّكَ على كلِّ حالٍ لئلا:
أ- يَثِبَ عن قُرب.
ب- أو يُغِيْرَ من بُعْد.
ج- أو يَكْمُنَ عن غِرَّة.
د- أو يَتْبَعَ بعد رجوع.

الوصية -١٨-

من علامات خبرة الأمير وحِنكته انتهازُ الفرص؛ «فإنَّها تمرُّ مَرَّ السحاب، ولا تَطْلُبُوا أثراً

بعد عين»[٢٠]، وثِبْ عند رأسِ الأمر ولا تَثِبْ عند ذنبه.

إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنمها
فإنَّ لكلِّ خافقةٍ سكونُ

الوصية -١٩-

يجوز لأمير الجيشِ أنْ يُعَرِّضَ للشهادةِ مِنَ الراغبينَ فيها مَنْ يعلمُ أنَّ في قتلِهِ في المعركة تحريضاً للمسلمين على القتال حَمِيَّةً له، والعكس صحيح؛ أنْ يَحْفَظَ مَنْ بقتلِه كسرٌ لشوكة إخوانه؛ كالقائد المتميِّز؛ لذا كان موقعُ القلبِ أحصنَ الأماكن وأبعدَها عن العدو.

---

(٢٠) عزاها ابنُ عبد ربه الأندلسي لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العِقْد الفريد، وكذلك ابنُ الأزرق في بدائع السلك، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب.

الوصية -٢٠-

لا تَأْذَنْ لإخوانك أنْ يَقْتُلوا أو يَأْسِروا ما قد يُفَرِّقُ صفَّهم وتختلفُ بسببِه كلمتُهم، حتى وإنْ كان جائزاً مِن وجهٍ من الوجوه؛ فوحدةُ الكلمةِ حالَ القتالِ مصلحةٌ راجحةٌ لا يَعْدِلُها شيء.

الوصية -٢١-

إيَّاكم والدِّماءَ، إياكم والدماءَ وسفكَها بغير حقِّها؛ فلا شيءَ أسرعُ لجلب نقمةٍ وزوالِ نِعْمةٍ من سفكِ الدماءِ بغير حقِّها، وإياكَ وأنْ تُقَوِّيَ أمرَكَ وجندَك بدمٍ حرام؛ فإنَّ هذا عاجلٌ آجلُه ضَعْفٌ ووهَن، فلا عذرَ لك عند الله ولا عندنا، والله لا يُرْفَعُ إلينا دمٌ سُفِكَ من معصومٍ مِن أهل السنة بغير

بيِّنةٍ على ارتكابه ما يَهْدُر دَمَهُ ولا شُبْهةٍ؛ إلا انْتَصَفْنا له.

الوصية ـ ٢٢ ـ

لا تَغُرَّنَّكَ سهولةُ عمليةٍ ما؛ فقد يكونُ المنحدَرُ بعدها وعْراً؛ وعليه فليكن فِكْرُكَ ليومِك وغدِك؛ فليس أضرَّ على الناس من أميرٍ يُفَكِّرُ فقط ليومه.

الوصية ـ ٢٣ ـ

كافِئِ المحسنَ على إحسانِه، وأَكْرِمِ السريةَ بعدَ الظَّفَرِ، وشَرِّفِ الشجاعَ على رؤوسِ الناس، وبالمقابل؛ وعاقِبِ المسيءَ على إساءتِه ولو بالهَجْر؛ إذ يجوزُ للأمير أنْ يؤدِّبَ العاصيَ لأمره، فإنْ لم تَفْعلْ؛ تهاونَ المحسنُ واجْتَرَأَ المسيءُ وفسدَ الأمرُ وضاعَ العمل.

ولْيكنْ إحسانُك إلى المحسن على الملأ، وعقابُك للمسيءِ سراً؛ وخاصةً لأهل الفضل منهم، أما أهلُ الفساد فعلى رؤوسِ الناس، وبه جاءتْ الشريعة.

وإياك إياكَ والإسرافَ في عقوبةٍ، أو النَّدم على عَفْو، وإياك والغلظةَ المنفِّرة؛ فإنَّ الشريعةَ تعاقِبُ لتُصْلِح لا لتَتَشَفَّى.

واحترسْ ساعةَ الغضب مِن كلمةٍ لا تَرْجِع؛ فرُبَّ كلمةٍ قالتْ لصاحبها: "دَعْني".

ولا تَجْعَلْ قولَك -أيها الأمير- لَغْواً في عقوبةٍ ولا عَفْوٍ، ولا تتجاوز في عقوبتِك -بِتَعَدٍّ وهَوى- ما حَدَّه اللهُ لك، فـ«الظلم ظلماتٌ يوم

القيامة»(٢١)، فعليك يا أخي بالرِّفْقِ في أمرك كلِّه حتى في العقوبة.

قال تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]، وقال ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ»(٢٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْق»(٢٣).

---

(٢١) أخرجه مسلم.

(٢٢) أخرجه الترمذي، وقال: "حديثٌ حَسَنٌ صحيح".

(٢٣) أخرجه أحمد في مسنده.

الوصية - ٢٤ -

اعْلَمْ أنَّ إخوانَكَ يَسْمَعُونَ ويُطيعونَ رغبةً فيما عند الله؛ فالتزامُهم شرعيٌّ أخلاقيٌّ أكثرَ منه رهبةً من سلطان؛ فلا تُؤَدِّبْ إلا من تَظُنُّ أنَّ له دِيناً يَتَقَبَّلُه، أمّا من تَظُنُّ أنَّ دينَه لا يَردعُه فإياك وأنْ تعاقبَه، بل تَلَطَّفْ به وتَأَلَّفْهُ؛ فأحقُّ الناس بالعفوِ أقدرُهم على العقوبةِ، وأنقصُ الناسِ عقلاً وقَدْراً مَنْ ظَلَمَ مَنْ هو دونَه، فأَنْصِفِ اللهَ وأنصفِ الناسَ مِن نفسك وأهلِك وممَّن تُحِبُّ من إخوانِك ورعيَّتِكَ، وإنْ لم تفعل تَظْلِم، ومَن ظَلَمَ عبادَ الله كان اللهُ خصمَه، ومن كان اللهُ خصمَهُ كان حرباً عليه حتى يتوبَ ويَنْزِع، فاتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليسَ بينَها وبين اللهِ حجاب، وإنَّ أبوابَ السماءِ

مفتَّحَةٌ لها، ولتكنْ من وَقْتِكَ ساعةٌ في النهار تُفَكِّر فيها هل ظلمتَ أحداً، أو أنَّ هناك مظلوماً عليك أنْ تنتصرَ له؟ وَمَنْ شاءَ تعجُّلَ غضبِ الله فلْيَظْلم!

الوصية ـ ٢٥ ـ

امْلِكْ إخوانَك والناسَ بالإحسانِ تَظْفَرْ بقلوبِهم؛ فإنَّ دوامَ المحبةِ بالإحسان، وزوالَها بالتَّعَسُّف، وتَوَدَّدْ إلى عامّة الناس تَخْلُصْ لك محبَّتُهم، وتَنَلِ الكرامةَ منهم؛ فإنَّ التودُّدَ من القويِّ تواضعٌ.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يَرْفُقُ بالناس أيَّما رِفْقٍ؛ فكانَ إذا أرادَ الأمرَ مِنْ أمر الله يظنُّ أنَّ الناس تكرهُه انتظر حتى يأتيَ ما يُحِبُّه الناسُ

فيُخْرِجُه معه، وقد ورد عنه: "إنَّ الله ذمَّ الخمرَ في القرآن مرتينِ وحرَّمَها في الثالثة، وأنا أخافُ أنْ أَحْمِلَ الناس على الحق جُملةً فيَدَعُوه، وتكونُ فتنةٌ"(٢٤).

الوصية -٢٦-

اعْرِفوا قَدْرَ الناسِ واعلَمُوا أصنافَهم، وقَدِّمُوا الرجلَ لكونه:

أ- مِنْ أهل العلم والفضل؛ والنصوصُ في فضلهم كثيرة.

(٢٤) ذكره عنه صاحب العِقد الفريد.

ب-مِنْ أهل السِّنِّ: فـ«ليس منَّا مَنْ لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحمْ صغيرَنا، ويَعْرفْ لعالِمِنا حقَّه»(٢٥).

ت-مِنْ آل بَيْتِ شَرَفٍ وسُؤْدُد؛ وعلى رأسهم آلُ بيت النبوة.

الوصية -٢٧-

تَفَقَّدْ أُسَرَ الشُّهداءِ والأسارى وقَدِّمْهُم على مَن سواهم، وعُدِ المريضَ.

وكنْ مع إخوانِك كالخادمِ لهم؛ فإنما أنت رجلٌ منهم غيرَ أنَّك أثقلُهم حِملاً، وأكثرُهم عند الله حساباً؛ فاعمَلْ لِغَد.

(٢٥) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم والطبراني، قال المنذرى والهيثمى: "إسناده حسن".

الوصية -٢٨-

أَحْسِنِ اختيارَ رسولِكَ إلى العشائرِ والجماعاتِ المسلحةِ، وكذلك مَن يقومُ بأمرِ "السّيْطراتِ" ومساءَلةِ الناس؛ فإنهم وُجُوْهُ الدولةِ لدى الناسِ، إنْ أَحْسَنوا أحسنَّا، وإنْ أساؤوا أَسَأْنا، وعلى الجُمْلَة: «أَرْسِلْ حكيماً ولا تُوْصِه».

الوصية -٢٩-

إياكَ أيُّها الأمير والعصبياتِ الجاهليةَ؛ فإنَّ المُلْكَ الراسخَ البناءِ لا يَهدِمُه إلا العصبيةُ الغالية، واستعمِلِ الذكاءَ والحيلةَ في تفكيكِها وليسَ القوةَ فحَسْبُ؛ فإنَّ أهل العراق خرجوا على عبد الملك بن مروان مع ابنِ الأشعث وفيهم جملةٌ من خيار التابعين، كسعيد بن جبير وأمثالِه، فهزمهم

الحجاج في (دَيْر الجماجم)[26] بالحيلة أكثرَ منه بالقوة، واعلمْ أنَّ مِنَ السياسةِ الحكيمةِ التعجيلَ بالأخذ على هؤلاء، وخاصةً الرؤوس.

الوصية -٣٠-

عليكم بالجدِّ والاجتهاد وعلوِّ الهمة، وإياكم والعجزَ؛ فإنَّه -واللهِ- أَذَلُّ مركَب، ومهما تَعَثَّرْتَ فأَعِدِ المحاولة، فقد عُلِمَ مِن التَّجربة أنَّه ما مِن عمل يَفْتَحُ الله فيه إلا وتَعْتَرِيْهِ العَثَرَاتُ والعَثَرَات.

***

(٢٦) معركة (دَيْر الجماجم) المعركة الفاصلة بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وحُسِمت لصالحِ الحجاج، و(ديرُ الجماجم) بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها.

وصية الجنود

الوصية -١-

الإخلاصُ لله في القول والعمل؛ فإنَّ الله لا يَقْبَل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً، قال الرسول ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنِّيَات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى»[٢٧]، وقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ[٢٨] يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ»[٢٩].

وفي ذلك الفوز بالدارين؛ قالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا

---

(٢٧) متفق عليه.

(٢٨) الكَلْمُ: الـجُرْح.

(٢٩) أخرجه مسلم.

الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ؛ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»(٣٠).

واقصِدوا بجهادكم أنْ تكونَ كلمةُ الله هي العليا؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٣١).

---

(٣٠) متفق عليه.

(٣١) متفق عليه.

الوصية -٢-

اسألوا أهلَ العلم عمَّا يَلْزَمُكُم في كلِّ ما يَطْرَأُ عليكم في فريضة الجهاد في سبيل الله؛ فإنَّ الإجماعَ منعقدٌ على أنَّ العلمَ قبل العملِ، قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْم فَريضةٌ على كلّ مُسلِم»(٣٢)، فلا تَقْتُلْ ولا تَغْنَمْ إلَّا وأنت تعلمُ لماذا تفعل؟ وحَدُّه الأدنى أنْ يُفْتِيَكَ من تَثِقُ به في علمِه ودينِه.

الوصية -٣-

إياك وأنْ تحابيَ في نصرة الله ذا قُرْبى أو ذا مودة، وإنّا لَنعلم أنَّ ذلك يَشُقُّ على النَّفس، لكنْ تَذَكَّرْ قولَه تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا

(٣٢) حديثٌ حسن أخرجه ابنُ ماجة في سننه وابنُ عبد البر في جامع العلم.

بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} [الممتحنة: ١]، فإنَّ حقَّ الله أوجبُ ونُصْرَةَ دين الله الْزَم.

الوصية ـ ٤ ـ

والله إنِّي لأُحِبُّك وأحبُّ ما يُنْجِيْك؛ فاسمعْ نصيحتي في مسألةٍ مهمة، مسألةِ "التكفير".

قال ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»(٣٣)؛ فاعلم يا أخي أنَّ اسمَ وحكمَ الكفر حقٌّ لله تعالى(٣٤)، لا

---

(٣٣) حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم والطبراني.

(٣٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على البكري: "من كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزنيَ بأهله؛ لأنَّ الكذب و الزنى حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يُكَفَّر إلا من كفَّره الله ورسوله"، وقال في مجموع الفتاوى: "مَسَائِلَ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ هِيَ مِنْ مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ".

يجوز إنزالُه إلا على مَن يستحقُّه شرعًا، وأنَّ له شروطًا وموانع، فلا نُكَفِّرُ إلا بعدَ استيفاءِ الشروط وانتفاءِ الموانع، وقد يَصْدُر مِن المرءِ قولُ الكفرِ أو عملُه ولا يَكْفُرُ لقيامِ مانعٍ من موانعِ التكفير، ومَنْ ثبتَ إسلامُه بيقينٍ، فلا يَخْرُج منه إلا بيقين؛ فإياك والظنَّ، وكُنْ على بينةٍ مما اختَلَف فيه أهلُ العلمِ العاملون.

الوصية ـ٥ـ

الوفاءُ بالعهدِ والأمانِ الصحيحينِ شرعاً، والحذرَ الحذرَ من تسويلات الشيطان، قال تعالى: {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} [الفتح: ١٠]، وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ

أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهم عَلَى قَاعِدِهِم»(٣٥).

واعلمْ أنَّا لم نُجِزْ لأحدٍ من الجنود عقدَ العهود أو أخذَ الأمانِ، وأنَّ ذلك لأميرِ المؤمنين أو من

(٣٥) حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

جاء في (عون المعبود شرح سنن أبي داوود لشمس الحق آبادي): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُشِدُّ: الْمُقَوِّي الَّذِي دَوَابّه شَدِيدَة قَوِيَّة، وَالْمُضْعِف: مَنْ كَانَتْ دَوَابّه ضِعَافًا. اِنْتَهَى. وَفِي النِّهَايَة لابن الأثير: يُرِيد أَنَّ الْقَوِيّ مِنْ الْغُزَاة يُسَاهِم الضَّعِيف فِيمَا يَكْسِبهُ مِنْ الْغَنِيمَة. اِنْتَهَى. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُتَسَرِّي هُوَ الَّذِي يَخْرُج فِي السَّرِيَّة، وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ الْإِمَام أَوْ أَمِير الْجَيْش يَبْعَثهُمْ وَهُوَ خَارِج إِلَى بِلَاد الْعَدُوّ، فَإِذَا غَنِمُوا شَيْئًا كَانَ بَيْنهم وَبَيْن الْجَيْش عَامَّة لِأَنَّهُمْ رِدْء لَهُمْ وَفِئَة، فَإِذَا بَعَثَهُمْ وَهُوَ مُقِيم فَإِنَّ الْقَاعِدِينَ مَعَهُ لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِي الْمَغْنَم، = فَإِنْ كَانَ جَعَلَ لَهُمْ نَفْلًا مِنْ الْغَنِيمَة لَمْ يَشْرَكهُمْ غَيْرهمْ فِي شَيْء مِنْهُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعًا، وهذا لقاعدهم بشرط كونه في الجيش.

ينوب عنه، فنظرتُه -غالباً- أشملُ وأقْدَرُ على معرفة مصالح الدولة.

الوصية -٦-

الاجتهادُ في الطاعة، والحذرُ من شُؤْمِ المعصية وشرِّ نفسِك والشيطانِ، فقد أوصى الفاروقُ عمرُ بنُ الخطّاب سعداً بنَ أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "...فإني آمرُك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله، وآمرُك ومَن معك أنْ تكونوا أشدَّ احتراساً مِن المعاصي منكم مِن عدوكم؛ فإنَّ ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم، واسألوا الله العونَ على أنفسكم كما تسألوه النصرَ على عدوكم"(٣٦).

(٣٦) ورد في العقد الفريد، وبدائع السلك، ونهاية الأرب.

الوصية -٧-

الصلاةَ الصلاةَ يا جنودَ الله، فإنها تُقَوِّي القلوب وتنشِّطُ الجوارح وتَنْهى عن الفحشاء والمنكر، وهي محلُّ مناجاة الربّ وطلبِ النصر، وأقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد، فهي عِمادُ الدين وشِعار المسلمين، فلا تؤخِّرْها إلَّا لِعذرٍ يعلم الله صِدْقَه مِن عَدمِه.

الوصية -٨-

إياكم والعُجْبَ بالنفسِ وحُبَّ الإطراء، وخاصةً بعد الظفَر على الأعداء؛ فإنَّ ذلك من أوثَقِ فُرَصِ الشيطان، ليُضَيِّعَ ثمرةَ جهادِكم وطولَ رباطِكم في الدنيا والآخرة.

الوصية -٩-

اثنتان عاقبتُهُنّ الخِزْيُ والخسران:

١- البَغْي: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [يونس: ٢٣]، فلا ظَفَرَ مع بَغْي.

٢- والمكر، قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: ٤٣]؛ فلا صداقةَ مع خِبّ.

الوصية -١٠-

اكْسِرْ نَفسَك عند الشهوات، فليس كلُّ ما يُشتهى يُطلب {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]، وعليك بالصيام تُرْزَقِ العفافَ، وعلى الجملة: «امْلِكْ هواك، وشُحَّ بنفسِك عمَّا لا يَحِلُّ لك؛ فإنَّ الشُّحَّ بالنفس الإنصافُ منها فيما أحبَّتْ أو كَرِهَتْ».

الوصية -١١-

اصْدُقِ اللهَ فيما وُلِّيْتَ مِن عَمَلٍ ولا تَتَكَلَّفْ ما كُفِيْتَه؛ فإنَّ الله ليس بسائِلِك عنه، بل تَحَرَّ الصدقَ في أمرك كلِّه؛ فإنَّ الصدق مَنْجاةٌ والكَذِبَ مَهْواة، و«كَفى بالمرْء إثماً أنْ يُحَدِّث بكُلِّ ما سَمِع»(٣٧).

الوصية -١٢-

كُنْ لإخوتك موافقاً في كلِّ شيء يُقَرِّبُك إلى الله ويُباعِدُك عن معصيته، وأَكْثِرِ التَّبَسُّمَ في وجوهِهم، واسمعْ لمن هو أكبرُ منك، وإذا رأَيْتَهم يَعملون فاعمل معهم؛ فإنَّ قعودَك يُوْغِر الصُّدور، وإنْ عَزَّ أخوك فَهُنْ، واعلمْ أنَّه: «ليس من العَدْلِ سُرْعَةُ العَذْلِ».

(٣٧) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، وصحَّحه ابنُ حجر في الفتح.

الوصية -١٣-

لا تَطْلُبْ عيوبَ الناس، وخاصةً أميرَك وإخوانَك فاسْتُرْ عيوبَهم ما استطعت يَسْتُرِ اللهُ عَيْبَك، ولا تحاولْ كشفَ ما غابَ عنك منها، قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(٣٨).

وقد ورد عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: "أَدْرَكْتُ بالمدينةِ أقواماً ليس لهم عيوبٌ فبحثوا عن عيوبِ الناس فَذَكَرَ الناسُ لهم عيوباً، وأدركْتُ بها قوماً

(٣٨) متفق عليه.

كانتْ لهم عيوبٌ سَكَتوا عن عيوبِ الناس فسكتَ الناس عن عيوبهم"(٣٩).

الوصية ـ١٤ـ

اعلموا يا جنودَ الله أنَّنا وإياكم نتشرَّفُ بإقامة وحمايةِ دولةِ الإسلام في بلاد الرافدين، ولكن اعلموا أنها ليستْ دولةَ (هارون الرشيد) لِنخاطبَ السحابةَ في السَّماء كما كان، وإنما هي دولةُ المستضعفين؛ نخاف مِن العدوِّ ونُرْعِبُهم، كما كان الصحابة في دولة الإسلام الأولى بالمدينة لا يتركون السِّلاح مِن الخوف، وَلَرُبَّما تسلَّل يهوديٌّ

(٣٩) نقله الباجي في شرحه على الموطأ، وأبو الشيخ ابن حيان في النكت والنوادر، وأخرجه الجرجاني في تاريخه عن غير مالك.

حتى يطوف بحصنٍ فيه النساء والذريَّة لا يجد من يقتله إلَّا امرأة.

وعليه فتَرَفَّقُوا بالناس وأَشْعِرُوهم حلاوةَ الإسلامِ وعِزَّتَه، وإياكُم أن تُشْعِرُوهم الخوفَ من الإسلامِ وأحكامِه، وإنْ كانَ ثَمَّةَ أَمْرٌ مُرٌّ على أهلنا، فاعملوا له من الحُلْوِ والطَّيِّبِ من القول والفعلِ ما يَتَقَبَّلُ الناسُ مُرَّه، وعلى الجملة: حَبِّبُوا للناس دينَه وأحكامَه ودولة الإسلام؛ فخِيارُ عبادِ الله «الذين يُحَبِّبُونَ عبادَ اللهِ إلى الله، ويُحَبِّبُون اللهَ إلى عبادِه، وهم يَمْشُون على الأرض نُصَحاء»(٤٠).

(٤٠)رواه البيهقي في شعب الإيمان.

الوصية - ١٥ -

قال الصاحبُ بنُ عَبّاد[٤١]: "تَهَيُّبُ السلطانِ فرضٌ أَكِيْد، وحَتْمٌ على من ألقى السمع وهو شهيد"[٤٢]، فأَشْعِر نفسك إجلالَ أميرِ المؤمنين؛ فـ«إنَّ مِنْ إِجْلال الله إكرامَ ذي الشيبةِ المسلمِ... وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِط»[٤٣]، وطاعتُه في غير معصيةٍ واجبةٌ عادلاً كان أو جائراً، وإياكم والطعنَ فيه بغير حق؛ فقد يكون كبيرةً من كبائرِ

---

(٤١) قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: "الوزير الكبير العلامة الصاحب... الأديب الكاتب... وكان فصيحاً متقعرا"، وفي ميزان الاعتدال: "أديب بارع شيعي معتزلي... وشعره حسن جداً وبتشبيهاته يضرب المثل"؛ لذا يَستشهد به أهل الأدب رغم انحرافاته العقدية.

(٤٢) نقله في (بدائع السلك في طبائع الملك).

(٤٣) أخرجه أبو داود والبيهقي وابن أبي شيبة والبخاري بإسناده حسن.

الذنوب توبقُ العبدَ، ومِن وصيةِ أَكْثَمَ بنِ صَيْفِيّ[٤٤]: "أَقِلُّوا الخلافَ على أُمرائكم... فإنَّه لا جماعةَ لمن اختُلِفَ عليه"[٤٥].

الوصية -١٦-

سَلِّمْ لأميرِك، وانزِلْ عند رأيِه وتدبيرِه، حتى لا تَخْتَلفَ الكلمةُ ويَتَفَرَّقَ الصف، ما دام الأمرُ رأياً أو مسألةً اجتهاديةً، أو له وجهٌ مِن الشريعة وليس معصيةً بَحْتَةً، وما دُمْتَ تطلبُ الأجرَ فإنَّ الأجرَ في السمعِ والطاعةِ ما لم يُخالفِ الشرع.

(٤٤) حكيم العرب المشهور، اختُلف في إسلامه، ولم يَلْقَ النبي ﷺ مع أنَّه كان في عصره، ويرى ابن عبد البر أنَّه لم يسلم.

(٤٥) أخرجه أبو الشيخ في أمثال الحديث، وأورده ابن قتيبة في عيون الأخبار.

لا تَكْتُمْ عن أميرِكَ أمراً ترى في ذكرِه مصلحةً شرعيةً كفساد على المجموع؛ فإنَّ إخبارَه مِن النُّصحِ وعكسُه من الغِشّ، وليسَ هذا من الغيبةِ المُحرمةِ ولا النميمةِ المذمومةِ شَرْطَ أنْ يكونَ ما تَرْفَعُه قد ثَبَتَ عندَكَ بيقينٍ أو غلبةِ ظَن، قال النووي: "فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةٌ إِلَيْهَا فَلَا مَنْع مِنْهَا؛ وَذَلِكَ كَمَا إِذَا.... أَخْبَرَ الْإِمَام، أَوْ مَنْ لَهُ وِلَايَةٌ بِأَنَّ إِنْسَاناً يَفْعَل كَذَا، وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَة، وَيَجِب عَلَى صَاحِب الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُه؛ فَكُلّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَقَدْ يَكُون بَعْضُه وَاجِباً، وَبَعْضه مُسْتَحَبّاً عَلَى حَسَب الْمَوَاطِن"(٤٦).

---

(٤٦) شرح النووي على مسلم.

وإياك وأنْ تكونَ خائناً أو أميناً للخونة؛ فقد كان يُقال: "كفى بالمرءِ خيانةً أنْ يكونَ أميناً للخونة"(٤٧)، قال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: ٨٣].

الوصية -١٧-

اصبرْ على أميرك ولو جَار؛ فإنَّ هذا من فروض الدين؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَن رأى من أميرِه شيئاً يَكْرَهُه فلْيَصْبِرْ عليه»(٤٨).

(٤٧) أسنده أحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن دينار.

(٤٨) متفق عليه.

وهذا ما حَدَّث به عبدُ الله بنُ عمرَ عبدَ الله بن مطيع بن الأسود لـمَّا خلعوا طاعة أميرِ وقتِهم (يزيد)، مع أنَّه كان فيه من الظلم ما كان، ففي صحيح مسلم: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: "اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً"، فَقَالَ: "إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثاً سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»"(٤٩).

(٤٩) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "وأرى الجهادَ ماضياً مع كلِّ إمامٍ؛ بَرَّاً كان أو فاجرا... وأرى وجوبَ السَّمع والطَّاعة لأئمَّةِ المسلمين؛ بَرِّهِم وفاجِرِهم ما لم يَأْمُروا بمعصية الله"(٥٠).

الوصية -١٨-

أينما كنتُم في أرض الجهاد فعليكم بالحراسةِ ليلاً، ولا أُحِلُّ لثلاثةٍ يَنامُون، وليس لهم أميرٌ ولا عليهم حارس، وكان من وصيةِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأحدِ قواده: "احترِسْ من البَيَات؛ فإنَّ في العربِ غِرَّةً"(٥١)، ولا تَنْشَغلْ عن نَوْبَتِكَ في الحراسةِ بشيء؛ فأنتَ على ثَغْرٍ، فاللهَ اللهَ في إخوانِك.

(٥٠) ذكَره في كتابيه (الكبائر، وأصول الإيمان).

(٥١) عزاه الهندي في كنز العمال إلى الدِيْنَوَري، وأخرجه ابنُ عساكر في تاريخه.

الوصية -١٩-

الإعدادَ الإعدادَ أخي المسلم؛ فإنَّ الله قال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: ٦٠]، ومِن الإعدادِ التمريناتُ الرياضيةُ التي تَسْتَجْلِبُ القوةَ البدنيَّة، والحركاتِ القتالية، وقد قيل: «كلُّ شيء طلبتَه حين احتياجه فقد فاتَ وقتُه، فأَعِدَّ لغَدٍ قبل دخولِك في غَدٍ».

الوصية -٢٠-

الرباطَ الرباطَ؛ أي اربِطْ نفسَكَ للجهادِ في سبيل الله؛ لحفظِ الثغور وتكثيرِ السواد وإرهاب العدوِّ، ولو طال بك المُقامُ؛ فإنْ كنتَ في مكانٍ تَخافُ العدوَّ ويخافُك، فذاك الرباط؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ﷺ: «رِباطُ يَومٍ في سَبيْل الله خَيرٌ مِنَ الدّنْيا ومَا عَلَيْها»(٥٢).

الوصية -٢١-

أخي لا تَتَمَنَّ لقاءَ العدو -إنْ كان تَمَنِّيْكَ عن إعجابٍ أو فخرٍ أو اتكالٍ على النفوس أو نَحْوِ هذا- قال رسول الله ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»(٥٣).

وعليك بالدعاء عند التقاءِ الصفينِ؛ فهو مُجاب، وقد دعا النبي ﷺ يومَ الأحزاب: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ

---

(٥٢) أخرجه البخاري.

(٥٣) متفق عليه.

الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»(٥٤)، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(٥٥).

الوصية -٢٢-

جَرِّئُوا قلوبَكم؛ فإنَّه من أسباب النصر والظفَر، واعلمْ أنَّ أشدَّ الأمور تدريباً لجندِ الله تَعَوُّدُ القتالِ وكثرتُه، وأكثِرُوا ذِكْرَ الضغائنِ على العدو؛ لأنَّها تبعث على الإقدام؛ فتَذَكَّروا أنَّ العدو اغتصبَ أمهاتِكم وأخواتِكم، وصَدَّكم عن الجمعة والجماعاتِ وقطعَكم عن الزرع والتجارة،

(٥٤) متفق عليه.

(٥٥) أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن غريب.

وبالجملة: (لم يَتْرُكْ لكم شيئاً من أمور الدين والدنيا).

الوصية -٢٣-

إذا سِرْتُم إلى عدو فعليكم بالأَدِلّاء إنْ لم تستطيعوا دراسةَ أرضِكم وأرضِ العدو، وخذوا الكفاية مِن الزَّاد (سلاح، وطعام، ودواء)، ولا تُفارِقْ ما يُعِيْنُكَ على جهادِك، فتَحَرَّكْ بسلاحِكَ وإبرتِك وخيطِك وكَشَّافِك(٥٦)، واحمِلْ مِن الدواء ما يُسْعِفُ الجريحَ ويُقَلِّلُ الآلامَ، وتَخَفَّفْ مِن الثياب.

(٥٦) الكشاف: أداة تُسْتَخدم لتضيء في الظلام.

الوصية -٢٤-

«اعْمَلْ عملاً صالحاً قبلَ الغزو؛ فإنما تقاتلون الناس بأعمالكم»(٥٧)، وخيرُ الأعمال وحْدةُ الصفِّ، وجَمْعُ الكلمة؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤]، وإياكم واختلافَ النّيات؛ لأنَّ الكلمةَ إذا اجتمعَتْ واختلفتِ النياتُ كان ذريعةً إلى اختلافِ ذاتِ البَيْنِ، واعلمْ أنَّ المرءَ بإخوانِه، وكما قيل في المثل: «المَهِيْن من نَزَلَ وَحْده».

(٥٧) بوب البخاري في صحيحه: "(بَاب عَمَلٌ صَالِح قَبْل الْقِتَال)، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاء: إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ" ا.هـ

الوصية ـ ٢٥ ـ

لا يَهُولَنَّكُم عَدُوٌّ؛ قال تعالى: {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، واعلموا أنَّ النَّصر والتمكين بيدِ الله وحدَه: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠]، قال الطبري في تفسيره: "(فَلا غَالِبَ لَكُمْ) مِن الناس، يقول: فلن يغلبَكم مع نصرِه إيَّاكم أحدٌ، ولو اجتمعَ عليكم مَنْ بينَ أقطارِها مِنْ خلقه، فلا تَهابوا أعداءَ الله لقلةِ عددِكم وكثرةِ

عددِهم ما كنتم على أمره واستقمتُم على طاعتِه وطاعةِ رسولِه؛ فإنَّ الغلبةَ لكم والظفَرَ دونَهم".

فاستَنْزِلوا النصرَ من الله بدعائِكم، واستغيثُوا به؛ فلِعبادةِ الدعاءِ أثرٌ عجيبٌ في النصرِ، وتصحيحِ النيِّاتِ، قال الله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

الوصية -٢٦-

ابذُلُوا غايةَ الجهد في قتال العدو الصائلِ، وإيَّاكم والكسلَ والعجزَ، فهما داءان خطيران استعاذ منهما النبي ﷺ، فاستَعِيذوا منهما، واعلموا أنَّ الأجرَ -في مثل عبادَتِنا- على قَدْرِ المشقَّة؛ قال تعالى: {وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ

لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٢١]، وقال ﷺ: «اِحْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستعنْ بالله ولا تَعْجِز»(٥٨).

الوصية -٢٧-

"يا أهل الإسلام! إنَّ الصبرَ عِز، وإنَّ الفشلَ عَجْز، وإنَّ النصر مع الصبر"(٥٩)، وإنَّ الجُبن مَقْتَلَةٌ والحِرصَ مَحْرَمَةٌ، ومَن قُتِلَ في الحروب مُدْبِراً أكثرُ بكثيرٍ ممَّن قُتل مُقْبِلاً، وقد كان الفرضُ في أول الإسلام ألّا يَفِرَّ المسلمُ عن عشَرة؛ فما أحوَجَنا لذلك اليوم، قال تعالى: {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ

(٥٨) أخرجه مسلم.

(٥٩) جاء في عيون الأخبار والعِقد الفريد عن خالد بن الوليد بلا سند.

مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: ١٦]، فصابِرْ مع أميرِك وصَبِّرْهُ في القتال وعند التحام الصفين، فالمصابرةُ مِن لوازم النصر، وعواقبُ الصبرِ محمودةٌ، وعاقبةُ الصبرِ النصر، ولا تُبْلَغُ الغاياتُ بالأماني.

الوصية -٢٨-

يُستحب التكبير عند مشاهدة العدو(٦٠)؛ لقول رسول الله ﷺ حينما رأى (خيبر) خرجوا بالمساحِي(٦١): «الله أكبر -ثلاث مرات- خَرِبَتْ خيبرُ؛ إنَّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فَسَاءَ صباحُ

(٦٠) راجع: فتح الباري ومشارع الأشواق لابن النَّحاس.

(٦١) جمع مِسحاة، وهي: المِجرفة.

المنذَرين»[٦٢]، قال النووي: "فيه اِسْتِحْبَاب التَّكْبِير عِنْد اللِّقَاء"[٦٣]، والتكبيرُ مندرج في عموم ذكر الله المستحب عند اللقاء.

ولكن عن أبي موسى الأشعري أنَّ رسول الله ﷺ كان يكره رفع الصوت عند القتال[٦٤]، وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ الصَّوْتَ عِنْدَ الْقِتَالِ"[٦٥]، وقال عتبةُ بن ربيعةَ لأصحابِه يومَ بدر لما رأى عسكرَ رسول

(٦٢) متفق عليه.

(٦٣) في شرحه على مسلم.

(٦٤) حسنه ابنُ حجر في تخريج أذكار النووي.

(٦٥) أخرجه أبو داود والبيهقي والحاكم.

وقال الطبرى: "في هذا الحديث من الفقه: كراهيةُ رفع الصوت بالدعاء، وهو قول عامة السلف من الصحابة والتابعين".

الله: "ألا ترونهم... يَتلَمَّظون تَلَمُّظَ الحيَّات"[٦٦]، ولـمَّا سَمِعَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أصحابَها يومَ الجملِ يُكَبِّرون قالت: "لا تُكْثِرُوا الصياحَ؛ فإنَّ كثرةَ التكبيرِ عند اللقاءِ مِن الفشل" [٦٧]، فالإسرار هو المستحب أثناء الالتحام إلَّا ما كان في الكرّات والحَمْلات[٦٨].

الوصية -٢٩-

إياكَ وأنْ تَغُلَّ شَيئاً من المَغْنَم؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران:

(٦٦) أي لا أصوات لهم، أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وأورده في عيون الأخبار والعِقد الفريد بلا سند.

(٦٧) أورده عنها في عيون الأخبار، والعِقد الفريد.

(٦٨) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي.

١٦١]، ويُروى عن ابن عباس: "ما ظَهَرَ الغُلولُ في قوم قطُّ إلا الْقِيَ في قلوبهم الرُّعْبُ"(٦٩).

الوصية ـ ٣٠ ـ

وصيةٌ من الله جَمَعَ لنا فيها أدبَ الحرب فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ووصيةٌ من رسول الله ﷺ: «اغْزُوا في سبيل الله؛ تقاتلون مَن كفر بالله، لا تَغُلُّوا ولا تَـغْدِروا

(٦٩) أخرجه الإمام مالك في الموطّأ عن يحيى بن سعيد موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا تُمَثِّلوا... »[٧٠].

الوصية -٣١-

الدعاءَ الدعاءَ بظهرِ الغيبِ لأمير المؤمنين ثم لأخيكم المسكينَ؛ فمَنْ كان على أخيه ودينِه مشفقاً فلا يَحْرِمْه من دعوةٍ في السَّحَر، وفي السجود، وعند الأذان، وأهمُّها عند التقاءِ الصَّفَّين، قال الفضيل بن عِياض: "لو كان عندي دعوةٌ مستجابةٌ لم أجعلها إلَّا في الإمام؛ فإنه إذا صَلَحَ أَخْصَبَت البلادُ وأَمِنَت العباد"، فقبَّلَ ابن المبارك رأسَه وقال: "لا يُحْسِنُ هذا غيرُك"[٧١].

***

(٧٠) أخرجه مسلم.

(٧١) أخرجها ابن عساكر في تاريخه، وأبو نعيم في الحلية، والبربهاري في شرح السنة، واللالِكائي في أصول الاعتقاد.

خَاتِمَةٌ وَدُعَاء

وإنِّي داعٍ فأمِّنُوا:

اللَّهم ارزقني الإخلاصَ في القول والعمل

اللَّهم ثَبِّتْني على الحقِّ وسَدِّدْ رأيي

اللَّهم لَيِّن قلبي لأهلِ طاعتِك بموافقة الحق

وارزقني الغِلظةَ والشدَّة على أعدائك

اللَّهم إني ضعيفٌ عند العمل بطاعتك؛ فارزقني النشاطَ فيها والقوةَ عليها، ولا تجعلني من الغافلين

اللَّهم اجعلْني عندَك عظيماً، وفي نفسي وَضِيْعاً وعند إخواني محبوباً مُهاباً.

اللَّهم أَعِذْني من الأسر، وارزقني شهادةً في سبيلِك، ولا تأخذني على غِرَّة.

وأحسِن خاتمتي في الأمورِ كلِّها يا مُقَلِّبَ القلوب.

أخوكم

أبو حمزةَ المهاجر

الأوَّل من رمضان ١٤٢٨ للهجرة

تم بحمد الله

مكتبة الهمّة

الدّولة الإسلاميّة

كتابٌ يهدي، وسيفٌ ينصر

الطبعة الثانية

جمادى الأُولى ١٤٣٧هـ

مكتبة الهمّة / الطبعة الثانية
جمـادى الأولـى ١٤٣٧هـ